Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشعرها الأسود مرسل يغطى كتفيها ، وعيناها الواسعتان يزيدهما الحزن اتساعا فى وجه شديدا لشحوب »وعبثا يحاول أبو جعفر أن يستر عريها عندما يخلع حرامه الصوفى ويحيط به جسدها ؛ فقد ظل يتابع مشيتها الوئيدة وهى لاتحس به وتخوض فى الوحل . ولا يصعب على القارئ أن يلمح هذا التوازى بين المدينةوالمرأة العارية الحزينة الضائعة ، فقد شاعت تلك الكناية فى آداب العصر الوسيط أيضا ، حتى اعتبر الغزاة الذين يطرقون أبواب المدائن خطّابًا يتقدمون إليها ، وشاعت أغنية من الرومانث الإسبانى عن الملك دون خوان الذى تقدم إلى غرناطة ذاتها قائلا لها :

ـ إن أحببت ياغرناطة
أن تُزَفّى لى كعروس معجبة
فإنى سوف أهبك صداقا
إشبيلية وقرطبة

فترد عليه المدينة قائلة :

ـ متزوجة أنا ، دون خوان
متزوجة ولست بأرمل
والعربى الذى يقتنينى
يتفانى فى حبى الأمثل !

ولكن غرناطة تغتصب هذه المرة بدون إرادتها ، ولايبقى لها سوى أن تخوض فى الوحل ، ويتعين على أهلها أن يعيشوا حياة الاغتراب وهم مقيمون ؛ إذ يتعرضون لأقسى تجربة يمكن أن يتعرض لها شعب لمحو شخصيته وتبديل دينه ولغته وملبسه وعاداته وثقافته وينتهى الجزء الأول من الرواية بحادثة محاكمة سليمة بنة الوراق أمام محكمة التفتيش بتهمة السحر والكفر والخيانة وإعدامها حرقا عام ١٥٢٧م ؛ أى أن هذا الجزء يستغرق خمسة وثلاثين عاما ، مكثفة بالوقائع والأحداث ، مما يتسق تماما مع حركة الأجيال فيه ، وكأن احتراق المرأة العالمة الحكيمة معادل آخر لضياع المدينة ؛ فسليمة هى التى قامت على مكتبة أبيها